فدونه منزلة وان كان لايخلو من فائدة .

بغداد الشماس فرنسيس اوغسطين جبران

ماذا يرى اليوم فى سامرآه

اذا اتيت سامرآه واطلقت فيها طائر نظرك لايكاد يقف على عامر قديم العهد بل تراه يحوم على اطلال وانقاض وتلال صغار وكبار ، واذ لا يجد له مقراً يعود اليك وقد وهنت قواه . ولكل تل من هذه التلول اسم معروف عند اهل المدينة ، ولما كانت هذه الانقاض مبثوثة شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، صعب عليك حفظها ان لم تدونها فى رقعة تكون بيدك .

وهل يدهشك وجود هذه الاطلال الدوارس ، وانت تعلم انها كانت فى سابق العهد منتزهاً للمنادرة ، ومباءة لبني العباس ، ومعهد انس ، يتنابه كبار الدول المجاورة ؟ وكيف تعجب وانت تدري انه كان فى سامرآه من القصور الشوامخ مالا يصل الينا الا بعض اسمائه كالشاه ، والعروس ، والقصر المختار ، والوحيد ، والجعفري المحدث ، والغريب ، والشيدان ، والبرج ، والصبيح ، والمليح ، وقصر بستان الاباخية ، والتل ، والجوسق ، والمسجد الجامع ، وبركوان ، (ويروى بلكوارا وهو الاصح) والقلائد ، والفرد ، والماحوزة ، والبهو ، واللؤلؤة ، وغيرها ، وغيرها .

ومع ذلك فاننا لانروى هنا الا بعض ما رأيناه لا كله ، لان وصف

كل ماوقفنا عليه يستلزم وضع كتاب قائم برأسه ، ثم اننا نذكر اسماء بعض الاطلال مستندين على روايه الكثيرين من المعمرين الذين قطنوا فى جهاتها اوترددوا الى جنباتها اذ هى لاتعرف اليوم الابهذه الاسماء التى نقلها عنهم . فنقول :

ينتهى الخراب من جهه الغرب فوق سامرآء الى (ابى دلف) اى الى مسافه ثلاث ساعات وفيه من الآثار الخربه اربعه مواضع ويفضى الخراب من جهه الشرق ورآء سامرآء الى (قلعه الجالسيه) وهى تبعد عن المدينه مسافه ساعتين ونصف .

اما الآثارالاربعه الغربيه فهى : الاول (الصليبيه) (بالتصغير والنسبه) وتبعد عن سامرآء ساعه واحدة ، وهى عبارة عن دعائم (اى دنك بلغه اهل بغداد جمع دنكه Piliers) مائلة لا غير . وبناؤها بالجص والاجر .

والاثر الثانى : (العاشق) وهو فوق الصليبيه نحو ربع ساعه وارضه كثيرة الابنيه والسراديب : واليوم قد اخذ رئيس شركه التنقيب الالمانيه وهو الدكتور هرتسفلد فى كشف التراب عن بعض مافيه . وقد وجد هناك سرداباً نزل فيه العملة الى خمسين دركاً فلم يصلوا الى قعره بل تجولوا فى فناء من افنيته مايقرب من مائه متر فلم ينتهوا الى آخره ولا الى اقصى جنبه من جنباته .

اماطول كل دركه من دركه فتر واحد و ٧٢ سنتيمتراً . وعرضها متر و٩ سنتيمترات . والفرع اى مابين مرقاة ومرقاة ٣٥ سنتيمتراً .

واما سقف ذلك الفناء فمعقود بالطاق اوالطابوق (وهو اسم الآجر المشوى بالنار بلغة اهل العراق والكلمة قديمة الوضع وترى فى كتبهم) والجص : وفيه من غريب التصاوير والرسوم الهندسية وبديعها، مايدهش الافكار ويسحر الابصار . وتبلغ ساحة ارض العاشق الخربة ٣٥٠ متراً طولاً فى ٢٢٠ متراً عرضاً .

وبجانب العاشق قصر آخر يعرف (بالمعشوق)(١) ويسمى البعض (العاشق والمعشوق) باسم (الشاه والعروس) وقد ذكرهما ياقوت فقال : الشاه والعروس : قصران عظيمان بناحية سامرا انفق على عمارة الشاه عشرون الف الف درهم . وعلى العروس ثلاثون الف الف درهم . ثم نقضت فى ايام المستعين ، ووهب نقضها لوزيره احمد ابن الخصيب فيما وهب له . اه كلام ياقوت .

[١] جاء ذكر المعشوق فى رحلة ابن جبير قال : نزلنا ... على شط دجلة بقرية من حصن يعرف بالمعشوق . ويقال انه كان متفرجاً لزبيدة ابنة عم الرشيد وزوجه . رحمه الله . وعلى قبالة هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينة سر من راى ، وهى اليوم عبرة من راى ».اهـ. الا ان الدكتور العلامة هرتسفلد يقول ان قدماء مؤرخى العرب لم يعرفوا الا قصر المعشوق . واما قصر العاشق فلم يعرفوه ولما كان من المثبت ان المعتمد بنى قصر المعشوق على الجهة الغربية فيحتمل ان اللفظة تغيرت من صيغة المعشوق الى صيغة العاشق . وحينئذ لايصح ان يطلق عليهما اسم الشاه والعروس (لغة العرب)

وإزاء العاشق فى الجانب الشرقى من ضفة دجلة (الكوير)(١)(بالكاف الفارسية وتصغير الاسم) وهو تلول مسافة طولها قراب ١٠٠ متر وعرضها

[١] لفظة (الكوير) تشابه كل المشابهة لفظة (بلكوارا) لاسيما لاننا نعلم ان العرب كثيراً ما تستثقل الالفاظ الكثيرة الحروف فيتصرفون بها كل التصرف . وقد وردت الفاظ كثيرة حذفوا منها صدرها وابقوا عجزها فيحتمل انهم حذفوا صدر (بلكوارا) وقالوا (كوارا) ولما كان التصغير شائعاً على السنة اعراب العراق جميعهم قالوا فيها كوير بحذف الالف الاخيرة من باب التخفيف . والظاهر ان « بلكوارا » كلمة ارامية قديمة مركبة من (بل) اى بعل (وكوارا) اى الجبار او القوى او الاله ومحصل معناه بعل الجبار . فيكون موطن هذا القصر فى السابق موطن هيكل لبعل الاكبر . وتلفظ الكاف فى كوارا كالكاف الفارسية وكالجيم الارمية او المصرية . وبتشديد الواو وقد يكتب العرب الجيم المصرية او الكاف الفارسية كافاً لخلو حروف هجائهم من هذا الحرف . (راجع تاج العروس مادة ج ب ر والمزهر ١ : ١١ ومقدمة ابن خلدون طبعة بيروت الاولى ٥٠٩) ومع كل هذه الادلة التى يظنها الباحث انها من البراهين القنعة فلا يظن الاستاذ هرتسفلد ان (الكوير) هو (بلكوارا) والسبب الاعظم فى رفض هذا الراى هو ان (بلكوارا) كان فى الجنوب الاقصى من موقع المدينة وهذا لا يصدق اليوم على موقع الكوير . ثانياً ان اعراب

اليوم قراب ١٠ امتار وقد اكل الشط نصفها وبقى نصفها الآخر وظهرت

العراق لايجعلون كافاً فارسية اوجيماً مصرية الا القاف فيقولون (كال) بالكاف الفارسية فى (قال) وعليه فيكون اصل لفظ (الكوير) (القوير) تصغير القارة بمعنى الجبيل المنقطع عن الجبال اوالصخرة العظيمة مع حذف الهاء للتخفيف. هذا راى الدكتور العلامة. واما سكان سامرآء فيزعمون ان الكوير سمى بهذا الاسم من الكاور. والكاور عندهم الكفار او النصارى. فيكون معنى اللفظ «تل الكفار» وهذا ايضاً لايسلم به والسبب هو: ان الكاف فى كلا اللفظين كاور وكوير وان كانت تلفظ كالكاف الفارسية الا ان الكاور لايصغر هذا التصغير اى على وزن زبير كما انه لاموجب هناك ان يسمى الكوير بهذا الاسم (ان كان هذا معناه) ولا يسمى غيره بمثله. وعليه فهذا الراى فاسد لامحالة.

بيد ان ما يثبت كل الاثبات ان المنقور هو بلكوارا «هو ان اليعقوبى يقول فى كتابه تاريخ البلدان (ص٢٦٥) ان المتوكل.... انزل ابنه المعتز خلف المطيرة مشرفاً بموضع يقال له بلكوارا فاتصل البناء من بلكوارا الى آخر الموضع المعروف بالدور مقدار اربعة فراسخ» اه. وقد حفر الدكتور هرتسفلد فى المنقور فوجد هناك رقيماً عليه مكتوب: «الامير المعتز بالله بن امير المؤمنين» ولما كان المنقور (ويلفظ بالكاف الفارسية) آخر اخربة سامرآء لم يعد يبقى شك فى ان المنقور هو بلكوارا فى السابق (انه العرب)

فيها غرف مبنية بالجص والآجر مع مراديب وهى اليوم فى وسط الماء اذ مهواه عليها وفى ايام الفيضان يحيط بها الماء وتكون شبيهة بالجزيرة .

والأثر الثالث (حويصلات . مصغرة وبتشديد اللام المفتوحة) وهى فوق العاشق بنحو ساعة . وهى تلول صغار وكبار لاغير .

والأثر الرابع مهيجير (مصغرة) وهو تل مسطح علوه ٥ امتار وطوله ٢٠ متراً . هذا كل مافى الجانب الغربى من الآثار .

واما الجانب الشرقى فآثاره الدوارس كثيرة لا تكاد تحصى . وقد قلنا انها تنتهى من جهة الغرب الى (ابى دلف) ومن جهة الشرق الى قلعة (الجالسية) . فلنأخذ الآن بذكر امهذه الآثار واعظمها شاناً وهى سامرآه نفسها . ثم نأتى على ذكر بعض تلك الآثار شيئاً بعد شيء شرقاً وغرباً .

واعلم قبل ذلك ان سامرآه هى اليوم قائم مقامية ومن ملحقاتها قرية الدور وهى تبعد عنها غرباً مسافة اربع ساعات ونصف . وتكريت وهى فوق الدور مسافة ٣ ساعات . وبلد وهى فى شرقى سامرآه وتبعد عنها مسافة ٧ ساعات . والدجيل (مصغرة) ويقال لها ايضاً سميكة (مصغرة) وتبعد عن بلد ٣ ساعات ونصف .

ويحيط اليوم بسامرآه سور[١] عظيم له اربعة ابواب كبار تكاد تكون

---

[١] عمره الميرزا زين العابدين السلماسى فى حدود سنة ١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤م اما النفقات التى صرفت على تعميره فقد كانت من أحد فضلاء الهند . ويروى بعضهم ان معمره هو السيد ابراهيم السيد محمد باقر الموسوى القزوينى

متجهة نحو الجهات الاربع المعروفة . ولكل باب من هذه الابواب اسم يعرف به وقوم من اقوامها يخرجون منه ويدخلونه . فالباب الذى عن يمينك يعرف (بالناصرية) وبعضهم يسميه (الحاوى) وهو باب (البو بدرى والعشاعشة) ويبلغ رجال البو بدرى من ١٥٠ الى ٢٠٠ رجل . ورئيسهم (جاسم المحمدة) . وعدد العشاعشة مايقرب من ٤٠ بطلاً . ومن رؤسائهم (السيد حسون الياسين) .

والباب الذى عن شمالك اسمه الباب (الملطوش) والملطوش بلسانهم المردوم . وكان مسدوداً بالآجر ثم فتح عند ورود بعض شاهات العجم الى سامراء . وهذا الباب خاص باعراب (البوعبدالرحمن) ومقدارهم ٣٠ رجلاً . ورئيسهم (خلف الحسين) .

والباب الذى يكون وراءك يعرف بباب القاطون (بالنون وهو تصحيف القاطول باللام) وهو خاص (بالبونيسان والبوعباس) وعدد اولئك يتردد بين المائتين والثلاثمائة رجل . وهؤلاء بين الستمائة والثمانمائة . ورئيس البونيسان (الحاج فتح الله) ورئيس البوعباس (السيد حمدى) .

والباب الذى تراه امامك يعرف بباب بغداد . وهو باب (البوباز والبوعظيم) تصغير عظيم . وعدد صناديد العشيرة الاولى ٧٠٠ رجل

الحائرى صاحب كتاب ضوابط الاصول واحد مشاهير علماء القرن الثالث عشر كانت اليه الرحلة من الاطراف فى علم الاصول والفقه وغيرهما وقد توفى فى كربلا بعد سنة ١٢٦٠ هـ ولكن الرواية الاولى اقوى .

ورجال العشيرة الثانية ٢٠ ورئيس الفرقة الاولى السيد جاسم العلى الاكبر ومقدم الزمرة الثانية (على الخلف) ـ وكل هؤلاء الاقوام يدعون السيادة وانهم حسينية النسب . وفيهم من يقطن البادية الا انهم غير بعيدين عن الحاضرة . وهم (البودراج والبو عيسى) وغيرهم . ويبلغون ستة آلاف رجل . ومنهم من استوطن جانبى بغداد وعددهم زهاء الف رجل ورؤساء جميع اهل سامراء من تبلد منهم ومن تسدى هم (البوصالح الشيخ) ولهم الكليدارية اى بيدهم مفاتيح حضرة الامامين على بن محمد الجواد ، وابنه الحسن العسكرى وراثة اباً عن جد والذى منهم اليوم فى المنصب (السيد حسن ابن السيد على) . وهو رجل جليل فاضل لايضاهيه رجل من اهل بلدته .

واما الغرباء الذين فيها فلا يقلون عن الفى رجل . منهم دوريون (اى من قرية الدور المذكورة) فى صدر هذه المقالة ومن بقى منهم اعجام من بلاد ايران . وقد توطنوها حباً وشغفاً بالاية المدفونين فيها . وتبركاً بمجاورة ضريحهم .

وقد شيد قبل نحو عشرين سنة الميرزا السيد حسن الشيرازى[١]

---

[١] هو ابو محمد السيد ميرزا محمد حسن الحسينى الشيرازى مولداً والاصفهانى تحصيلا يلقب بحجة الاسلام ولد سنة ١٢٣٥ هـ وهاجر من اصفهان الى النجف فى العراق سنة ١٢٥١ هـ وقام فيها مدرساً حتى انتهت اليه رئاسة الامامية وهاجر من النجف الى سامراء سنة ١٢٩١ هـ وتوفى فيها بمرض السل فى ٢٢ شعبان سنة ١٣١٢ هـ ونقل نعشه بوصية منه الى النجف على الرؤوس وشيعه خلق كثير يربو على مائة الف نسمة وسنذكر ترجمة احواله فيما بعد مفصلا ان شاء الله .

طيب الله ثراه اندية للعلم وخانات للزائرين والغرباء المسافرين . ولو بقى هذا الرجل حياً الى هذا اليوم لاعاد شيئاً مذكوراً من مجد سامراء فى سابق عهدها . لكن ابى الله ان يكون كذلك .

وفى سامراء اليوم ثلاث مدارس يدرس فى احداها من انخرط فى سلك طلبة العلوم الدينية وعلوم اللغة والادب على مذاهب اهل السنة . ومن مدرسيها حضرة العلامة السيد عباس اقتدى آل امين الفتوى . وهو اليوم ايضاً امين الافتاء فى سامراء . ومنهم ايضاً حضرة السيد عبد الوهاب اقتدى وهو المدرس الثانى . — والمدرسة الثانية مدرسة رسمية خاصة بالحكومة والمترددون اليها مبتدئو الطلبة ويدرس فيها مبادى العلوم باللغة التركية . والمدرسة الثالثة مدرسة تحاكى الاولى فى الرتبة والتدريس الا ان طلبتها من الشيعة وكلهم من الايرانيين . وهذه المدرسة اكبر من اختيها بناء ومادة فى العلوم . ومن اساتذتها الكبار حضرة المجتهد الشيخ محمدتقى التبريزى . وحضرة الشيخ محمد حسن آل كبة . وليس لمدرسى هذه المدرسة راتب من قبل الحكومة ولا لطلبتها رزق فى السجلات الرسمية . غير انه يأتيهم من بلاد ايران حقوق معلومة من خمس وزكاة وما اشبههما فيدرون اخلافها على الطلبة هناك .

وفى سامراء حضرة [١] لمرقدى الامامين على الهادى وحسن

(١) الحضرة فى مصطلح اهل بناء المساجد فى العراق : القبة التى تبنى على قبر احد المشاهير لاسيما من اهل الدين . وقد كانت هذه الحضرة فى ايام

العسكرى . وحليمة خاتون اخت الامام على الهادى . ونرجس خاتون زوجة الامام حسن العسكرى وام صاحب الزمان معاً . وصاحب الزمان هذا هو محمد المهدى ويحيط بتلك الضرائح شباك من النحاس الاصفر يعلوه قبة من الذهب الابريز [١] كبيرة جداً ترى من بعد ١٢ ساعة وهى تتلالأ فى الشمس كانها شمس ثانية . وباطن هذه القبة البديعة الحسن مع الرواق الذى فيها مرصوف بقطع الزجاج المقطوعة على رسوم هندسية وقد رصعت فى الحيطان ترصيعاً تسحر الالباب وتسبى العقول. وهذه القطع الموضوعة على اشكال هندسية تعرف باسم « عاينة » (باسكان الياء وفتح النون ، عند اهل العراق واللفظة تركية بمعنى المرآة) وفى الجهة الغربية من الرواق التى عن يسارك اذا دخلت الباب قبور الخلفاء العباسيين المعتصم والمتوكل وغيرهما وقد خربها الحاج مرزا محمد السلماسى يوم عمر الحضرة المذكورة ولذلك لايعرف لها اليوم اثر يذكر

حياة الامامين دار سكنى لهما . وقد عمر هذه الحضرة مع صحنها احمد خان وحسن خان وحسين خان وهم اخوة من فرقة تعرف بالدنبلية من اهل خوى وسلماس ورومية وكان تعميرها برعاية الحاج ميرزا محمد السلماسى المتوفى سنة ١٢١٩ هـ وكان تاريخ وفاته قولك (واغريب) وذلك فى حدود سنه ١٢٠٠ هـ فى ايام وزارة سليمان باشا وكانت وزارته سنة ١١٩٤هـ وتوفى سليمان باشا سنة ١٢١٦هـ ودفن فى مقبرة الامام الاعظم ومدة وزارته ٢٣ سنة .

(١) انفق هذا الذهب ناصر الدين شاه وكان المباشر لانفاقه الميرزا محمد باقر السلماسى المذكور انفاً وذلك فى سنة ١٢٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ هـ

ويطوف بتلك الحضرة صحن يدور عليها من اربعة اركانها. واما جدرانه فبنيه كلها بالرخام الى ارتفاع نحو خمسة امتار . وماتبقى من الجدار الى نحو متر ونصف فزين بالقاشاني ومكتوب عليه آيات من القرآن .

وفى الزاوية الغربية من الصحن عن يمين الحضرة بئر يحتال باخدام ذلك المحل على المغفلين من الزوار بان يطلعوا فى وسط مائها هيئة قمر بازغ لايأفل ليلاً ولانهاراً بل ولا يتحول عن محله ويرونانهم فى هذا الصدد ان نرجس خاتون ام المهدى اطلت يوماً من الايام على قعر البئر فقطر من ثديها قطرة من اللبن . فكان من تأثيرها على قعر البئر هذا الاثر وذلك لايتزاز المال .

وبجنب البئر جدار حاجز بين الصحن المذكور وصحن قبة الغيبة الصاحب ابن الامام الحسن العسكرى ، الذى تدعى الشيعة انه غاب عن الابصار وهو حى يرزق وانه يظهر بعد حين . الامر الذى ينكره السنة كل الانكار . وقد اتفق الفريقان على ولادته واختلفا فى وفاته واسم هذا الامام الاصلى هو محمد المهدى . وله اسماء والقاب كثيرة منها : صاحب الزمان ، والقائم ، والحجة ، والمنتظر ، وصاحب العصر ، وخليفة الله فى الارض ، وصاحب الامر وغيرها .

ولذلك المحل ايضاً حضرة ذات صحن صغير وهو عبارة عن صفة اوطارمة عرضها مايقرب من سبعة امتار وطولها ١٥ متراً وسمكها مثل عرضها . ثم تدخل رواقاً على مثال الصفة اوالطارمة المتقدمة . ثم تنزل الى سرداب فيه ١٣ دركة . ثم تمشى مسافة قدرها عرض

درجات ثم تحدر منها الى ٦ دركات فتهوى الى فرجة بين عقدين . ثم تسلك فى برزخ وتأتى بهواً صغيراً فتجد هناك باب مخدع من خشب الصندل مكتوب حفراً على اطاره مما يلى الارض من يمينك ماهذا نقل نصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة فى القربى . ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً . ان الله غفور شكور . »

ثم تجد كتابة تبتدئ من اسفل الاطار وتصعد الى اعلاه ثم تحدر الى اسفله . وهذا حرفها :

« هذا ماامر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين . الذى طوى البلاد احسانه وعدله . وغمر البلاد فضله . قرن الله اوامره الشريفة باستمرار النجح والنشر ، وباظهاره بالتأييد والنصر وجعل لايامه المخلدة حداً لايكبو جواده . ولارائه المسعدة سعداً لايخبو زناده . فى عز تخضع له الاقدار فتطيعه عواصيها . وملك تخشع له الملوك فتملكه نواصيها . يتولى الملوك معد ابن الحسين بن معد الموسوى الذى يرجو الحيوة فى ايامه المخلدة ويتمنى انفاق بقية عمره فى الدعاء لدولته المؤبدة . استجاب الله ادعيته . وبلغه فى ايامه الشريفة امنيته » .

وترى على العتبة محفوراً ايضاً ماهذا اعادة نصه :

« من سنة ٦٠٦ هلالية . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على محمد وعترته الطاهرين » . وفى عتبة باب المخدع عن يمينك مما يلى الارض ثقب بقدر مايدخل فيه الكف. ويروى عنه ان الناصر لدين الله هو الذى ثقبه لكى يلقى فيه من يريد ان يوصل عريضة الى صاحب الزمان . وهو الى اليوم على حالته الاولى .

اما قدر المخدع فطوله متران وعرضه متر وعلوه ثلاثة امتار وفيه بجنب الباب عن يمينك اذا دخلت نفق عمقه قريب من مترين ونصف وعرضه من فوق قدر مايملك فيه الرجل الوسط واقفاً ومن تحت قدر متر ونصف وهو مستدير الاطراف . ويروى عن هذا المحل انه كان يتوضأ فيه صاحب الزمان فجاء من بعده اناس فاخذوا من ترابه قبضة قبضة قصد التبرك فحدث من هذا الاخذ هذا النفق . وقد امر بكبسه اى طمه حضرة الميرزا السيد حسن الشيرازى المذكور آنفاً . فردم ولكن بعد وفاته نبشه الخدم هناك من اهل سامرآء وذلك لابتزاز بعض الدراهم من الزوار. ويدعى ضعفاء العقول ان فى هذا النفق غاب المهدى. اما علماء الشيعة فلا تعير لهذا الزعم اذنا صاغية ، ولا تحله محلاً .

واما جدران تلك الحضرة فداخلها مغشى بالرخام من الارض الى علو متر ونصف . وما فوقه مغشى بالقاشانى وكذلك ظاهر القبة. واما جدران الحضرة من الخارج فكله مغشى بالرخام. وكذا قل عن جدران البهو مع فرش ساحته .

(للبحث صلة)

م .. كاظم الدجيلى